

اوباما... رئيس مستعجل

بيتر وينر

مجلة ويكلي ستاندارد

31 أغسطس 2009 (العدد 46، المجلد 14)

Madison Checks Obama

By Peter Wehner

The Weekly Standard Magazine

ترجمة: علي الحارس



بيتر وينر

نائب لأحد مساعدي
الرئيس الأمريكي
جورج بوش الابن.
وعضو أساسي
في مركز الأخلاق
والسياسة العامة.

باراك اوباما رئيس شاب على عجلة من أمره. إنه رجل ذو ثقة غير طبيعية بالنفس ويحمل طموحات عالية؛ وبهذه التركيبة، أضف إليها تمسكه بالرؤية الليبرالية، يحدث اوباما ضرراً كبيراً من خلال ممارسته لمسؤولياته الرئاسية. وكما هو حال كثير من الرؤساء، تسلم اوباما منصبه وفي باله نية حرف التاريخ عن مساره كما يشاء؛ وهذا الاندفاع، وإن كان مفهوماً، فإنه يؤدي إلى العمل خارج الإمكانيات المتاحة، وفي حالة اوباما هذه نجد حادثتين فادحتين من إساءة التقدير آزرته على المضي في مسعاه ذلك.

أما الحادثة الأولى فهي أخذه بنصيحة كبير موظفيه، رام ايمانويل، المعروف عنه قوله: «لا يمكنك أن تدع أزمة خطيرة تذهب هباءً»؛ وذلك من خلال الافتراض بأن الرأي العام الأمريكي في خضم ركود اقتصادي عميق ومديد يتوق إلى رد فعل حكومي لا على صعيد الاقتصاد فحسب وإنما على صعيد البيئة، والرعاية الصحية بالأخص. إن إدارة اوباما تنظر إلى الأزمة الحالية باعتبارها لحظة نادرة الحدوث ذات جوانب متعددة ومكاسب كثيرة واحتمالات عديدة؛ كما تشكل فرصة لاوباما يتاح له من خلالها إعادة تشكيل المشهد السياسي الأمريكي من خلال سلسلة من المبادرات الجريئة.

لكن الأحداث المتتالية أظهرت أن الرئيس اوباما تصرف على النحو الخاطئ تماماً في معالجته للمسائل التي واجهها. ومعظم الأمريكيين، بما لهم من فطرة محافظة عززها

اوباما... رئيس مستعجل

الخوف والقلق الناشئين عن الأزمة المالية. يتوقون إلى الاستقرار. وهذا جعل اوباما يخفف من غلواء أهدافه من خلال التصريح بأنه. وعلى ضوء الأزمة الاقتصادية التي ورثها من سلفه. سوف يركز عمله على قضايا الاقتصاد وتفاقم العجز والدين العام: وهذا المنهج اتبعه الرئيس رونالد ريغان عام 1981. فكانت أولوياته المحلية متمثلة في تخليص الاقتصاد من «التضخم الركودي». واستطاع تحقيق ذلك من خلال تخفيضات كبيرة للضرائب واتباع سياسات مالية متينة في المقام الأول. لقد فهم ريغان حينها أنه ما لم يعد بالاقتصاد إلى حاله الطبيعي فليس هنالك غير القليل من الأمور المهمة التي يمكن إنجازها. واقتصر عمله على إلغاء الامتيازات والعودة إلى دولة الرفاهية.

والحادثة الثانية التي أساء فيها اوباما التقدير. والتي كانت أكثر عمقا بالنظر إلى بعض جوانبها. هي محاولته إحداث تغييرات هائلة دون الاعتبار بما كان الرئيس جيمس ماديسون (أبو الدستور الأمريكي) يدعوه «الاحتياطات الإضافية» في نظام الحكم الأمريكي. وهو ما يشرحه المؤرخ مارتين دياموند بقوله: «هي المفاهيم والمؤسسات الدستورية الناظمة للسلطة وللغالبية. مثل: فصل السلطات. وثنائية المجلس التشريعي. والحكومة ذات الصلاحيات المحدودة. وكافة الضوابط المحلية. وغير ذلك...».

وبسبب فهم مؤسسي النظام السياسي الأمريكي للطبيعة الجوهرية للسياسة بأنها تمارس من قبل أشخاص يمثلون مزيجا من الفضائل والرذائل وذوي قدرة على الإيثار والأفعال النبيلة لكنهم يتحركون وفق مصالح ذاتية في الأساس. فإنهم شكلوا نظام حكم يعمل على إبطاء مسار الأمور. ويكافئ على الاعتدال لا التغيير الجذري. ويؤكد على التحولات البطيئة في السياسة لا الانتقالات المفاجئة. لكن إدارة اوباما قررت أن تستعمل الأزمة الاقتصادية للتغلب على تلك الضوابط. وبدفع من الطبيعة المتسارعة لأجندتها التشريعية جاءت المطالبة بتمرير حزمة تحفيز الاقتصاد حتى قبل أن يقرأ أعضاء الكونغرس مواد تشريعها. وكذلك الموافقة على إصلاحات شديدة التعقيد في نظام الرعاية الصحية قبل أن نكون قادرين على التدقيق في تفاصيلها ومناقشتها. وما حدث بالفعل هو أننا شهدنا

اوباما... رئيس مستعجل

مسرحية للرئيس اوباما، وهو رجل طالما تغنى بقدرته على إذكاء أوار الجدل السياسي، وذلك في مسعى منه لاستباق الأحداث من خلال التصرف قبل إغلاق نافذة الفرص المتاحة.

في الماضي، قام الرئيس ماديسون بكبح جماح الذين طرحوا نماذج لدولة ضخمة منها ما كان على نهج المدينة الفاضلة (اليوتوبيا)؛ كذلك، نخوض اليوم نقاشا حول مشروع الرعاية الصحية، وهو ما كان اوباما يرغب جاهدا في تجنبه، ونتج عن ذلك أن الدعم الذي كان يأمله لهذا المشروع يتضاءل يوما بعد يوما كحجر يسقط في البحر. ومهما تكن الملامح الأخيرة للمشروع بعد النقاش، إن بقي المشروع أساسا، فإنها ستكون مختلفة تماما عن ملامح المشروع الأصلي الذي ترعرع في مخيلة اوباما. لكن الانتقادات لا تلاقي رد الفعل المناسب من قبل الرئيس، فهذا الرجل الذي قدم وعودا بأنماط جديدة في السياسة طابعتها التحضر والأمل، يطلق اليوم كبار مساعديه وحلفائه في الكونغرس على المنتقدين موجها إياهم برد الصاع صاعين؛ وهؤلاء يقومون بتصوير معارضي خطة اوباما على أنهم هامشيون ومرترقة ومجرد دمي، وإذا كان هؤلاء يعتقدون بحق بأن هذه الصورة ملائمة للقلق الشعبي المتصاعد حول خطة الرعاية الصحية فإنهم يوصدون الأبواب على أنفسهم في البيت الأبيض بشكل محكم.

إن المشكلة الأساسية تكمن في وجهة نظر اوباما عن السياسة، والتي تتصف بالرومانسية وحتى أنها تقترب من الثورية، يقوم فيها رجال متحمسون بإعادة تشكيل العالم. لكن هذه ليست الطريقة الأمريكية؛ فطريقتنا تتجسد في نظام حكومي «يجب أن يولد فيه طموح ليعاكس طموحا آخر» بحسب تعبير الرئيس ماديسون، وحيث تكون الكوابح أكثر من المسرعات، وتتثبط الإصلاحات الكبرى والسيطرة المركزية بل تنهزم في معظم الحالات، ومهما تكن ضوابط الدستور فإنه يبقى، وكما يقول رئيس الوزراء البريطاني الأسبق غلاديستون، «أعظم عمل أطلقه في أي عصر عقل الإنسان وغاياته»؛ وهو لا ينحني أمام رئيس على عجلة من أمره، حتى لو كان هذا الرئيس شابا ذا شخصية ساحرة وفاقدا للصبر.